مقال رأي

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

الرسالة والجسر
دبلوماسية الأمل في الزيارة الباباوية لتركيا ولبنان

د. سعد سلوم

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

الرسالة والجسر: دبلوماسية الأمل في الزيارة الباباوية لتركيا ولبنان

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط / قسم الابحاث / الدراسات الاجتماعية

الاصدار / مقالات رأي

الموضوع / شؤون اقليمية ودولية

د. سعد سلوم

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2025

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

مقدمة -الدبلوماسية الروحية والجغرافية السياسية في الشرق الأوسط

شكّلت زيارات البابا لاون عام 2025 إلى كلٍّ من تركيا ولبنان حدثاً مفصلياً أعاد رسم ملامح الدور الفاتيكاني في الشرق الأوسط. لم تكن هذه الزيارات مجرد لقاءات بروتوكولية، بل هي جزء من رؤية استراتيجية متكاملة للكرسي الرسولي تتقاطع فيها الدبلوماسية الروحية مع الحسابات السياسية ومسارات التعايش الديني، وتستهدف بناء جسور بين الشرق والغرب.

وقد تجاوزت زيارات البابا الطابع التقليدي لتشكّل امتداداً لرؤية أوسع تقوم على إعادة توظيف الدين كقوة ناعمة قادرة على تهدئة النزاعات وتعزيز التعايش، وقد تم اختيار الدولتين ببراعة لخدمة أهداف استراتيجية محددة.

ففي لبنان، جاءت الزيارة بمثابة تجديد لالتزام الفاتيكان بحماية نموذج العيش المشترك، في لحظة بلغ فيها الانهيار الاقتصادي والسياسي حدّ تهديد الركائز الأساسية للتعددية اللبنانية، مما يجعل البلد نموذجاً هشاً وفريداً للتعددية يجب حمايته ورعايته روحياً ودبلوماسياً. أمّا في تركيا، فانفتحت الزيارة على مسار موازٍ يستهدف إعادة تنشيط الحوار الكاثوليكي-الأرثوذكسي وتعزيز التقارب مع قوة إقليمية صاعدة، تمتلك تأثيراً مباشراً على قضايا الاستقرار والهوية والدين، وتشكل مركزاً إقليمياً ذا ثقل سياسي وروحي يُستغل لترسيخ رسالة التعددية في المنطقة الأوسع.

وفي ظل هذا التحول، يطرح المقال إشكالية تتمحور حول طبيعة الأبعاد الاستراتيجية لدبلوماسية الفاتيكان الروحية، وكيف تعمل زيارات البابا إلى دول محورية في الشرق الأوسط (لبنان وتركيا) على إعادة صياغة الدور الفاتيكاني لترسيخ خطاب عالمي للتعددية والتعايش في مواجهة التحديات الجيوسياسية والدينية المعاصرة؟

انطلاقاً من ذلك، ينطلق المقال من فرضية أساسية ترى أن زيارات البابا لاوان إلى لبنان وتركيا عام 2025 ليست مجرد أحداث رمزية، بل هي جزء من استراتيجية فاتيكانية متكاملة تهدف إلى دمج البراعة بين الرعاية الروحية والدبلوماسية، مستغلةً محورية الدولتين لتثبيت حضور مسيحي آمن وفعّال في الشرق، وصوغ نموذج عالمي للتعددية يُناهض الانقسامات المتصاعدة في النظام الدولي.

تتقاطع الزيارتان في كونهما امتداداً لمسار فاتيكاني أوسع يقوم على ترسيخ خطاب عالمي يعيد للدين دوره كقوة ناعمة، بدل تحويله إلى أداة للاستقطاب. وعليه، يسعى المقال لتحليل أهداف ونتائج زيارتي 2025 من خلال دمج البعدين الروحي والجيوسياسي، وتوضيح كيف يساهم هذا التوجه في إعادة ترتيب الأولويات المسيحية في الشرق وصياغة نموذج عالمي للتعددية يواجه التحديات العابرة للأديان التي يفرضها التطرف، والهجرة، وتسييس الهوية. قدمت هذه الزيارات رؤية متكاملة لما يمكن أن يكون عليه مستقبل العلاقات الدينية والسياسية في منطقة شديدة التعقيد، لكنها تظل نقطة ارتكاز أساسية في فهم موقع الشرق الأوسط في خريطة الأولويات الفاتيكانية الراهنة.

أولاً-أنقرة والفاتيكان: التوازن بين الرمزية الدينية والرهانات السياسية

في هذا الإطار، تبرز زيارة البابا لاون إلى تركيا في أواخر عام 2025 كمحطة مفصلية في تاريخ العلاقات بين الفاتيكان وأنقرة، إذ تمثل خامس زيارة بابوية منذ تأسيس العلاقات الدبلوماسية عام 1960، وأول زيارة خارجية للبابا الجديد بعد انتخابه. واكتسبت الزيارة طابعاً استثنائياً لدمجها بين الرمزية الدينية والرهانات السياسية، وإبراز تركيا كجسر جغرافي وثقافي بين الشرق والغرب، وكمركز تاريخي للكنائس الأولى. كما تستمدّ أهميتها من وجود البطريركية المسكونية في إسطنبول، أعلى مرجعية للأرثوذكسية الشرقية، ما منحها بعداً كنسياً استراتيجياً ضمن مساعي الفاتيكان لإحياء الحوار الكاثوليكي-الأرثوذكسي.

على المستوى السياسي، جاءت الزيارة في ظل تقارب لافت بين أنقرة والكرسي الرسولي في الخطاب الموجّه إلى العالم بشأن التعايش والسلام. فكلا الطرفين يسعيان إلى تقديم خطاب إنساني بديل عن الاستقطاب المتصاعد بين على المستوى السياسي، جاءت الزيارة في ظلّ تقارب لافت بين أنقرة والكرسي الرسولي في الخطاب الموجّه إلى العالم بشأن التعايش والسلام. فكلا الطرفين يسعيان إلى تقديم خطاب إنساني بديل عن الاستقطاب المتصاعد بين الولايات المتحدة والصين، ويروّجان لنموذج عالمي للتعددية وحلّ النزاعات بالطرق السلمية. كما أن تركيا، بوصفها وريثة لإرث عثماني قائم على التعايش بين الأديان، تمثّل شريكاً طبيعياً للفاتيكان، الذي بدوره يعزّز خطاباً دبلوماسياً معتدلاً يدين استخدام الدين كأداة للاضطهاد أو الهيمنة.

الولايات المتحدة والصين، ويروجان لنموذج عالمي للتعددية وحل النزاعات بالطرق السلمية. كما أن تركيا، بوصفها وريثة لإرث عثماني قائم على التعايش بين الأديان، تمثل شريكاً طبيعياً للفاتيكان، الذي بدوره يعزز خطاباً دبلوماسياً معتدلاً يدين استخدام الدين كأداة للاضطهاد أو الهيمنة.

وعلى خلفية هذا التقارب، اتخذ الفاتيكان خلال الأشهر التي سبقت الزيارة خطوتين لافتتين نحو تركيا: افتتاح غرفة للصلاة للمسلمين داخل مكتبة الفاتيكان الرسولية التي تضم مليوني كتاب مطبوع، و80 ألف مخطوطة، و50 ألف وثيقة أرشيفية، وبينها بعض أقدم نسخ القرآن الكريم المتبقية. ولقاء السيدة الأولى أمينة أردوغان بقداسة البابا خلال زيارتها للفاتيكان للمشاركة في في فعالية أقيمت في المعهد البابوي للعلوم الاجتماعية تحت عنوان: «الاقتصاد القائم على الأخوّة: التعددية الأخلاقية»، في مؤشر على رغبة واضحة في توسيع مساحة التعاون. ويبدو أن الفاتيكان يسعى أيضاً إلى الاستفادة من تنامي الدور الإقليمي لتركيا في الدفاع عن القضايا الإنسانية، وتخفيف الصورة السلبية التي تروّج لها بعض الأوساط الغربية عن أنقرة.

ثانياً-إحياء الحوار الكاثوليكي-الأرثوذكسي

أما على الصعيد الديني، فتأتي الزيارة ضمن مسار أوسع لإعادة تنشيط الحوار بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية، في ظل إدراك مشترك بأن التحديات التي تواجه المسيحية المعاصرة، ولا سيما التراجع الكبير في الممارسة الدينية في الغرب، تتجاوز حدودَ الانقسامات التقليدية. غير أن هذا الحوار لا ينفصل عن التباينات السياسية داخل الأرثوذكسية نفسها، خصوصاً لجهة علاقة بعض قياداتها بالولايات المتحدة وإسرائيل، وهو ما يجعل زيارة البابا إلى تركيا ولبنان رسالة غير مباشرة موجهة إلى التيارات المسيحية واليهودية الصهيونية التي ساهمت في صعود التطرف الديني وخطاب الكراهية.

وفي سياق النزاعات الإقليمية، جاءت تصريحات البابا بشأن غزة متحفظة نسبياً، إذ اكتفى بالصلاة من أجل أهلها وانتقاد الاعتداءات على المسلمين والمسيحيين في القطاع، من دون تبني موقف أكثر حدة ضد إسرائيل، على خلاف ما قامت به دول كاثوليكية أخرى مثل إسبانيا وإيرلندا وعدد من دول أميركا اللاتينية. وقد عُدّ هذا التردد إحدى النقاط التي حدّت من قوة الخطاب البابوي خلال الزيارة.

في المحصلة، تعكس زيارة البابا لاون إلى تركيا إدراكاً مشتركاً لدى الفاتيكان وأنقرة بأن العالم اليوم أصبح مترابطاً، ما يجعل التعايش ضرورة دولية لا خياراً أخلاقياً فحسب. فمن خلال تقارب الخطاب السياسي، وتعميق الحوار الديني، ومحاولة بناء جبهة عالمية معتدلة لمواجهة الاستقطاب والتطرف، تؤسس الزيارة لرؤية تستند إلى أن مستقبل العلاقات بين الحضارات والأديان يقوم على التعاون، لا العزلة، وعلى بناء فضاء مشترك للدفاع عن السلم الإنساني في عالم يزداد تعقيداً.

ثالثاً-لبنان والكرسي الرسولي: ستة عقود من الزيارات البابوية

ينسجم هذا السياق مع أهمية زيارة البابا إلى لبنان، التي تمثل امتداداً طبيعياً للجهود الفاتيكانية في المنطقة. على مدى ستة عقود، شهد لبنان أربع زيارات بابوية أساسية، شكّلت كل منها محطة محورية في تاريخ البلاد الحديث، وأكدت مكانته في الوجدان الفاتيكاني كـ «بلد الرسالة والتعددية». بدأت هذه المسيرة عام 1964 مع زيارة البابا بولس السادس، أول زيارة بابوية إلى لبنان، في مرحلة كان فيها البلد يعيش توازناً هشاً بين حيوية «العصر الذهبي» وتوترات إقليمية، حاملة اعترافاً بالدور الروحي للبنان وبمكانته كنموذج للحرية والتعدد.

في عام 1997، زار البابا يوحنا بولس الثاني لبنان بعد الحرب الأهلية، في مرحلة إعادة الإعمار وسط الانقسامات السياسية والوصاية السورية. مثلت الزيارة لحظة توحّد نادرة، حيث رسخت في الوجدان الوطني اللبناني مفهوم لبنان كرسالة أكثر من كونه وطناً، وأعادت البلاد إلى مركزها الدولي كحاضنة للعيش المشترك.

وفي 2012، جاءت زيارة البابا بندكتس السادس عشر في ظل تصاعد الاضطراب الإقليمي، مع اندلاع الحرب السورية وارتفاع المخاوف على مستقبل المسيحيين في الشرق. اختار البابا لبنان لإطلاق «الإرشاد الرسولي للشرق الأوسط»، مؤكداً أن مستقبل المنطقة لا يُبنى من دون شراكة إسلامية-مسيحية تحمي التعددية، محذراً من احتمالية انهيار أسس التعايش.

رابعاً-لبنان والتعددية في زمن الأزمات

أما زيارة البابا لاوان عام 2025، فقد جاءت في ظل أزمة عميقة شملت انهياراً اقتصادياً، فراغاً سياسياً، حدوداً مضطربة، ونزوحاً واسعاً يضغط على البنية الاجتماعية. ورغم هذه الظروف، شكّلت الزيارة مشهداً فريداً من الوحدة الوطنية، حيث وقف المسلمون والمسيحيون جنباً إلى جنب لاستقبال البابا، مؤكدين جوهر الهوية اللبنانية. حملت الزيارة ثلاثة أبعاد: روحاني يؤكد استمرار حضور المسيحية الحرة في الشرق، سياسي يشدد على حماية صيغة العيش المشترك، واجتماعي يسعى لبث الأمل في مجتمع أنهكته الأزمات.

تُظهر هذه الزيارات أن حضور الفاتيكان في لبنان لم يكن مجرد مناسبات بروتوكولية، بل لحظات تأسيسية أعادت ترتيب موقع لبنان في الرؤية البابوية لمستقبل الشرق، مؤكدة أن حماية نموذجه التعددي ليست مصلحة محلية فحسب، بل ضرورة إقليمية ودولية. وعند ربط زيارة 2025 بزيارة البابا نفسها إلى تركيا في العام ذاته، يتضح إطار أوسع للرؤية الفاتيكانية: ففي حين يمثل لبنان الفضاء الأكثر هشاشة ولكنه قادر على إنتاج رسالة عالمية عن التعددية والعيش المشترك، تشكل تركيا مركزاً سياسياً وروحياً يمكن أن يرسخ هذه الرسالة على الصعيد الإقليمي، من خلال تعزيز الحوار المسيحي-الإسلامي وإعادة وصل العلاقات بين الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية.

خامساً-الكرسي الرسولي والشرق الأوسط: دمج الرعاية الروحية والدبلوماسية

من هنا، تُعد زيارتا البابا لاوان إلى لبنان وتركيا في عام 2025 جزءاً من استراتيجية واحدة للفاتيكان، تقوم على مزيج متوازن من الرعاية الروحية، والحوار الديني، والتقارب السياسي. ففي لبنان، تركز الرعاية البابوية على حماية نموذج التعددية وصون العيش المشترك في مواجهة تحديات اقتصادية واجتماعية وسياسية عميقة، ما يجعل لبنان مثالاً حياً على قدرة المجتمع على الصمود واستمرار الرسالة المسيحية الحرة في الشرق. هذه الزيارة حملت رمزية قوية، إذ عبّر استقبال المواطنون من مختلف الطوائف عن الوحدة الوطنية، مؤكدين أن التعددية والهوية المشتركة هما خط الدفاع الأول أمام الانقسامات الداخلية والأزمات المتلاحقة.

أما في تركيا، فتأتي الزيارة في إطار تعزيز الدور الإقليمي لأنقرة كبوابة للتقارب بين الشرق والغرب، ومركز تاريخي للكنائس الأولى. هنا يبرز البعد الاستراتيجي للزيارة، حيث يسعى الفاتيكان إلى إعادة وصل العلاقات بين الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، وتوطيد شراكات إقليمية قائمة على الحوار والتفاهم، بعيداً عن منطق الصراع أو الهيمنة الدينية. ومن خلال هذا التوجه، يوضح الفاتيكان أن مستقبل التعايش بين الأديان والثقافات في المنطقة لا يُبنى بالانعزال أو الخطاب الانقسامي، بل عبر بناء فضاءات مشتركة للدفاع عن السلم الإنساني، وتعزيز نموذج عالمي للتعددية والعيش المشترك يمكن الاستناد إليه في مناطق أخرى من العالم.

سادساً-من العراق إلى تركيا: تحوّل استراتيجي في الدبلوماسية البابوية

وفي سياق أوسع، يمكن مقارنة هذه الزيارات مع زيارات البابا فرنسيس إلى العراق والإمارات في السنوات الأخيرة، حيث ركّزت على أبعاد مماثلة تجمع بين الدبلوماسية الدينية والسياسية. ففي العراق، سعى البابا فرنسيس إلى حماية الأقليات المسيحية وتعزيز التعايش بين المسلمين والمسيحيين في سياق صعب ومتوتر، فيما هدفت زيارته للإمارات إلى تعزيز الحوار بين الأديان وإرساء أسس السلام الإقليمي من خلال توقيع وثيقة الأخوّة الإنسانية.

وتكشف هذه المقارنة عن نمط متصاعد في السياسة البابوية يقوم على التعامل مع كل دولة وفق موقعها ودورها في منظومة التوازنات الإقليمية: فالعراق يمثّل مساحة هشّة تحتاج إلى حماية التنوع، بينما تشكّل الإمارات منصة لإنتاج خطاب ديني عالمي، في حين يقدّم لبنان نموذجاً أصيلاً للتعددية رغم أزماته، وتبرز تركيا كقوة إقليمية قادرة على ترسيخ الحوار المسيحي-الإسلامي وإعادة وصل العلاقات بين الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية.

وبالمثل، حملت زيارات البابا لاون بعداً مزدوجاً: ففي لبنان صون نموذج العيش المشترك في مواجهة الأزمات الداخلية، وفي تركيا تعزيز الحوار الكاثوليكي-الأرثوذكسي وبناء جسور دبلوماسية مع مركز إقليمي مؤثر. وعلى هذا الأساس، يتضح أن الفاتيكان بات يعتمد مقاربة شاملة تتجاوز حدود كل دولة على حدة، مركّزاً على بناء شبكة مترابطة من الشراكات الدينية والسياسية تُسهم في إعادة تشكيل مشهد التعايش في الشرق الأوسط.

خاتمة: دبلوماسية الأمل الروحية

وهكذا، تعكس جميع هذه الزيارات استراتيجية متكاملة ومحكمة للفاتيكان في المنطقة، تقوم على الدمج البارع بين البعد الروحي والبعد الجيوسياسي، لتتجاوز الدبلوماسية التقليدية نحو ما يمكن تسميته بـ»دبلوماسية الأمل الروحية».

هذه الاستراتيجية لا تهدف فقط إلى حماية الأقليات المسيحية، بل تسعى إلى بناء نموذج عالمي للتعايش والسلام، يقدّم رؤية شاملة تؤكد أن الدين يمكن أن يكون أداة للوحدة والتفاهم، بدل أن يتحول إلى وقود للانقسام والصراع. فمن خلال وضع حماية التعددية اللبنانية الهشة (التي تمثل حالة فريدة للعيش المشترك) في موازاة تعزيز الحوار مع مركز إقليمي صاعد كتركيا (لتحقيق انفتاح أوسع بين الشرق والغرب)، يؤكد الكرسي الرسولي التزامه بصياغة عقد اجتماعي ديني-سياسي جديد في الشرق الأوسط.

إن هذا التوجه يمثل محاولة لإعادة ترتيب الأولويات المسيحية في المنطقة، وربط مصيرها بمصير المكونات الدينية الأخرى، مما يثبت أن الحضور الفاتيكاني المعاصر هو قوة استقرار عابرة للطوائف والحدود، تسعى إلى تثبيت قواعد التعاون بدلاً من التنافس في نظام دولي متزايد الاستقطاب. هذا الإطار الاستراتيجي لا يضمن فقط استمرار الوجود المسيحي، بل يؤسس لخطاب إنساني عالمي يستطيع مواجهة تحديات التطرف، وتسييس الهوية، وتفكك الدولة الوطنية، مقدماً نموذجا رائداً لاستثمار السلطة الرمزية والدبلوماسية الروحية في خدمة السلم الدولي.

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org